جهالات وضلالات وكفريات وشركيات الصوفية والصوفيين

محمد سعد زغلول سالم

الثلاثاء ١٧ يناير ٢٠٠٦

ينتشر الفكر الصوفى وتتكاثر الطرق الصوفية بين عوام المسلمين فى مصر وفى بقية الدول الإسلامية الذين لا يفهمون مغزى عقيدة التوحيد وهى جوهر الإسلام إنتشاراً وبائياً مثلما ينتشر السرطان فى أعضاء وأنسجة ضحاياه وهو أمرُ يُنذِر بعواقبَ وخيمة على أمةٍ وصلَ بها الهوانُ والإنحطاط إلى مداه وما عادت لها قدرة على تحمُّل المزيد من مذلة الضعف التى تزدادُ مع كل خطوةٍ تخطوها صوْب ظلمات الضلال بعيداً عن الصراط المستقيم الذى أنعمَ به عليها وهداها إليه الله.

ويحزن المرؤ أشد الحزن بسبب تقاعُس مؤسسات الدعوة الإسلامية التى يتصدرها الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وهيئات الإفتاء فى الدول الإسلامية عن التصدى لجهالات الصوفية التى تعدت مرحلة الخرافة إلى مراحل عديدة من الضلال ثم الكفر إنتهاءاً بالشرك بالله الذى صار مظهراً كاشِفاً لعقائدهم الباطنة التى يروجها رؤوس الضلال والإفساد منهم الذين ينشؤون الطرق الصوفية ويرأسونها بغية الإحتيال على من ينضم إليها من الأتباع والمريدين بسلب ما يستطيعونه منهم من أموال وأملاك ومقدرات مستغلين فى ذلك جهل هؤلاء الأتباع بعقائد دينهم أو ضعف وعَجْز عقولهم عن فهمها رُغْمَ أنَّ شهادتهم بألا إله إلا الله كافية لكى يحْذَر كُلُّ مَن له عقل من الإنضمام أو حتى الإقتراب من هذه الطرق الشيطانية الخبيثة التى تروِّج لعقائد الشرك بالله بحِجَجٍ لا أصلَ لها فى الإسلام سواء فى القرآن الكريم أو فى الحديث الصحيح وإنما هى بقايا عقائد الشرك بالله التى كانت سائدة بين البشر منذ بدأ ضلالهم عن هدى الإسلام منذ آلاف السنين وتنوعت بين تعدد الآلهة وتثنيتهم وتثليثهم حتى إنتهت إلى عقائد الشرك التى تقوم عليها عقائد الشيعة الكُفرية والشركية والتى كانت منبع الضلال الأصلى الذى تدفقت منه عقائد الصوفية كسَيْلٍ جارف يكتسح فى طريقه عقيدة التوحيد فى نفوس المؤمنين بها ويهدم كُلَّ ما يترتب عليها من إلتزامات فى القول وفى الفعل وفى السلوك وفى العبادة ولا يترك فيها غير ما نراه من أقوالٍ كفرية وشركية يعتبرها رؤساء هذه الفرق الخبيثة عقائد الإسلام الحقيقية الباطنة المُستترَة التى لا يعرفها سوى الأولياء الواصلين منهم مُستنِدين فى هذا الزعم الشيطانى الخبيث إلى ما يدعونه من علمهم بأسرار تأويل القرآن الكريم ومعرفة أسرار الحقائق التى إختص اللهُ بها ذاته والتى أتاح لهم أن يشاركوه فى معرفتها وكلها بدعٌ مُنكَرَة يتلقاها المريدون ويؤمنون بها ويتبعونها بديلاً عن عقائد وعبادات الإسلام الحَّقة بغير أن يجرؤا على التفكير فيها أو تدبرها غير مدركين أنهم فى تغييب عقولهم عن فهمها وتمييزها يكونون أدنى مرتبةً من الأنعام السائمة التى لا تأكل ما يُلقى إليها قبل أن تعرف وتمّيز بين صلاحه لها من فساده وإضراره بها.

وقد نشأت الصوفية كطائفة من المسلمين ظاهِراً أَسْبَغَ عوامُهُم وجهالهُم على أوليائهم الضالين تميُّزاً عن باقى الخلق أجْمَعين ونسبوا إليهم وأضفوا عليهم صفاتٍ مُعْجِزَة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسه يتمتع بها أو يَّدعيها وأَكْسَبوا لطبائعِهِم قدراتٍ خارقة لم يمنحها الله حتى لرسولِه الكريم وإدَّعوا لأرواحِهِم منازلَ مقدسة متفاوتة تبدأ من القرب من الله عز وجل وتشتَّطُ فى شذوذِها وجنونِها بزعْم إتحادِها به مروراً بالنيابة عنه فى تصريف شئون الكون والتحكُم فى مصائرَ الخلق بحُكم حلولِه فيها أو حلولِها فيه وكل هذه أمور بدعية لم يَرِدْ بشانها نصُّ فى القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ولا يملك العقلُ السليم لدَى عرضِها على عقائد الإسلام وبديهيات المنطق الشرعى الصحيح سوى الحكم عليها بالكُفر والشِرْك والضلال.

وقد كان التصوف كفكرةٍ ومفهوم منذ نشأته بدعَة مُنكَرَة أدت إلى إفسادٍ خبيث فى عقائد الإسلام وتسببت فى ظهور مساوىء وشرورٍ وخيمَة عانَى ويُعانى منها قطاعٌ كبير من المسلمين حتى يومِنا هذا. ورُغْمَ ما يدعيه الصوفية من أمور بدْعِية لا تستند إلى أى دليل مثل كرامات الأولياء ووجود وقدرات ووظائف الغَوْث والأقطاب والأوتاد والأبدال والنُجَباء وقيامهم بتصريف شئون الوجود إلى آخر هذه الخرافات ... ورُغْمَ ما يؤمنون به من عقائد ضالة تتصادَم مباشرةً مع ثوابت الدين كإعتقادهِم فى أولوية خلق النور المحمدى وإعتباره بمثابة الروح للجسد لجميع المخلوقات النورانية الأخرى وهى عقيدة الحقيقة المحمدية أو عقيدة نسخة الأكوان أو حُب الأكوان وإعتقادهم بأن قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من عرش الرحمن وكإعتقادهم بمعرفة أولياء الصوفية بالمكتوب فى اللوح المحفوظ وقدرتهم على تغيير القضاء والقدر والإتيان بالمعجزات الخارقة وما يُرَّوجونَه من مفاهيم هى أقرب إلى الخرافات منها إلى الفطرة التى فطرَنا الله عليها مثل إتصال السَند وتسَّلُم الخِرْقة لكل طريقة صوفية ومثل إيهام المُريدين ضِعاف العقول ممن لا يستطيعون فهم أو إدراك أو تمحيص ما يسمعون أنَّ طاعة وعبودية المُريد لشيخ الطريقة هى الوسيلة الوحيدة المُتاحَة له لمعرفة الحقيقة وللتدرج فى مراتبِهِم القدسية ... رُغْمَ هذا الضلال الواضح فى هذه الإعتقادات الكفرية والشركية الذى لا يحتاج للبرهَنة عليه إلى دليل يحزنُ المرؤ لمشاهدة هذا الإنتشار الوبائى الخبيث للطرق الصوفية وتزايُد أعداد المنضمين إليها وإتباعهم لرؤوس الفتنة والضلال من المُفسدين فى الأرض الذين تسببوا ومازالوا يتسببون فى زَيْغِ الملايين من عوام وجهال المسلمين عن عقائد دينهم الصحيح.

وربما يكون أخطر ما تطفح به عقائد الشرك البواح التى يؤمن بها الصوفية والتى حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم عقيدة تقديس الرسول صلى الله عليه وسلم التى تنضح بها كتابات بعض كبار أوليائهم الضالين عن سبيل الحق والتى يكفى فقط قراءة عناوينها لمعرفة مدى شططهم ومجانبتهم للصواب فيها مثل (كتاب الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية) لعبدالكريم الجيلي و(كتاب لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية) لعبدالوهاب الشعراني و(كتاب صلاة أقباس الأنوار المحمدية والأسرار القدسية) لعبدالباقى المكاشفى و(كتاب من آفاق الذات المحمدية) لإحسان قاسم صالحى و(كتاب العهود المحمدية) لعبدالوهاب الشعراني و(كتاب تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية) لزنديق الصوفية الأكبر محى الدين إبن عربى ومثيلاتها من مئات وآلاف الضلالات والشطحات بل والشركيات والكفريات التى تتضمن فى معانيها إساءاتٍ لا يُقدِم عليها مسلم إلى النبى صلى الله عليه وسلم الذى يكفيه فخراً وشرفاً إصطفاء الله له ليكون آخر عهد البشر بوَحْى السماء وهو لا يحتاج إلى هذه المغالاة المَمْجوجَة فى شخصه

الشريف التى سوف تقود الصوفية فى نهاية الأمر إلى تقديسِه مثلما فعل الشيعة مع فاطمة الزهراء ثم مع على بن أبى طالب وولده الحسين وذريته رضى الله عنهم جميعاً ثم إلى تأليهِه مثلما فعل المسيحيون مع عيسى بن مريم عليهما السلام ومثلما فعلت أقوام أخرى عديدة غالَت ثم قَدَّسَت ثم ألَهَت وعَبَدت بشراً لا حول لهم ولا قوة إلا بمشيئة الله فباؤوا بمعصية تنكُّب الصراط المستقيم والفطرة السليمة التى فطرها الله عليهم حتى سقطوا فى هوة الكفر والشرك والضلال.

إنَّ مجابهَة عوام وجُّهال الصوفية من مريدى الطرق الصوفية بضلال عقائدهم التى تقودهم إلى سبيل الكفر والشرك بالله وتنبيههم ونصحِهِم بألا ينهَلوا من مَعين الشيعة الفاسد الضال الذى ينضَحُ بها وألا يقتدوا بهم فى شركِهم حتى لا ينتهى بهم المطاف كما إنتهى بهم إلى الشرك بالله وكما إنتهى بالعديد من أوليائهم من قبلُ إلى دياجير الكفر والشرك والضلال هو واجب شرعى وهو فرض كفاية على كل من يتصدى لمهام الدعوة لدين الإسلام الصحيح والذين من المفروض أن يتصدرهم علماء الأزهر المتقين الأمناء على دين الله وليس غيرهم ممن يمتلىء بهم الذين يتبع ويؤمن كثيرون منهم بعقائد الصوفية الضالة !!! وكذلك نظائرهم من العلماء المتقين الأمناء على دينهم من علماء مجمع البحوث الإسلامية ونظائرهم من علماء الإفتاء المتقين الأمناء على دينهم فى بقية الدول الإسلامية ... فعقائد الصوفية خطر داهم على عقائد عوام المسلمين الذين لا يعرفون من دينهم غير ترديد الشهادتين وليس أكثر والذين يتصيدهم إما دعاة الإلحاد أو دعاة الشيعة أو دعاة الصوفية فيبوء بذنبهم كُلُّ مَن يستطيع هدايتهم إلى سبيل الهُدى ولا يفعل ... والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.